اثنان من الفاشيين يفتشان بين الانقاض عن شيء يسرقانه

صورة من تل الزعتر ...

مراسل غربي : الفاشيون يعترفون بقتل ٢٢٠٠ شخص في يوم واحد ، لكن يستحيل تقدير العدد الصحيح

بعد المجزرة ، وضع الفاشيون أقنعة طبية وداسوا المخيم لنهب ما تبقى تحت الركام

يوم الجمعة ، ١٣ آب ١٩٧٦ ، تل الزعتر ، الفاشيون دخلوا المخيم ، اثنان من المراسلين الاجانب دخلا المخيم وكتبا في تقريرين ما وقعت عليه اعينهما ، التقرير الاول ارسله الصحفي ج٠م٠ ، مراسل احدى وكالات الانباء الغربية ، اما الثاني فهو مقال لصحيفة تقدمية اوروبية ، مقاطع من الشهادتين :

التقرير الاول

ان أول ما يصعقك وأنت تقترب من المخيم هو رائحة الموت الخارقة التي تلف المكان ، ثم حين تتقدم داخل محيط المخيم حيث ينتشر قطعان من اليمينيين الذين ينهبون ، ومعظمهم قد وضع قناعا طبيا بسبب الرائحة الكريهة ، عندئذ تبدأ بمشاهدة الجثث .

جثث في كل مكان ، على الطريق الى المخيم ، بقايا امرأة يصعب التعرف عليها ، بعد ان داستها في الارض سيارات العديد من الناهبين .

في الازقة الملتوية بين الاكواخ التي تؤلف المخيم، ترقد عشرات الجثث وقد التوث بين محتويات بيوت اصحابها ، وقد جرى قذفها كلها في الازقة .

عائلات بكاملها ترقد هناك لتهترىء تحت شمس اب اللاهبة ، امرأة مطعونة الى جانب ابنها الذي تدلت احشاؤه من امعائه التي جرى شرطها .

عجائز من الرجال والنساء ، ونسوة شابات واطفال ينتشرون في كل بقعة يقع عليها النظر .

مقاتلو حزب الاحرار الذين صحبوني الى داخل المخيم اخبروني ان هؤلاء العشرات الذين تنبعث منهم الروائح قتلوا جميعا بالامس خلال الهجمة اليمينية النهائية على المخيم . وقال احد المقاتلين بالسلب اصبحوا احرارا في ان يلتقطوا من اطلال المخيم ما يفتشون عنه من اجهزة للتلفزيون والغسالات والثلاجات ، وكل ما يستاهل حمله .

وعند نقطة المراقبة اليمينية في منطقة المخيم كانت مشاهد غاضبة حين بدأ المسلحون اليمينيون يتنازعون الغنيمة ويطلقون النار في الهواء غضبا . ورغم انه من الواضح ان مئات كثيرين من غير المقاتلين قد ذبحوا بالامس ، فان علامة سؤال لا زالت معلقة حول مصير الكثيرين من الرجال . حسن صبري الخولي مندوب الجامعة العربية اخبر الصحفيين مساء امس انه احضر شخصيا ٦٠ مقاتلا اسيرا الى بيروت الغربية . كما ان عددا اخر من المقاتلين هربوا من الجانب الشرقي للمخيم وشقوا طريقهم الى منطقة امنة عبر الجبال .

لكن عددا قليلا جدا من الرجال عاد للظهور في غربي بيروت ، وسيل اللاجئين بالامس كان تقريبا بدون رجال . وتقول معظم الاحصاءات ان الكثيرين منهم قد ذبحوا في منطقة الفندقية في الدكوانة حيث جرى تجميعهم ، في حين جرى تصفية اخرين على عدد لا يحصى من الحواجز على الطريق الى بيروت الغربية .

ان سقوط تل الزعتر هو بوضوح كارثة انسانية كبرى وضربة نفسانية حادة للفلسطينيين . لكن المتفائلين من الفلسطينيين يرون في حقيقة الامر ان المخيم استطاع الصمود لمثل هذه الفترة الطويلة امام اعداد متفوقة مصدرا للمجد والكبرياء .

لكن دوائر فلسطينية اخرى لا ترضى عن هذا التقييم لهذه الكارثة . فقد حدثت مشاهد صاخبة في بيروت الغربية عندما تظاهر بعض اليساريين واصحاب الاراء الاخرى من الفلسطينيين ضد الاتفاق الذي توصلت اليه القيادة الفلسطينية مع الكتائب للاخلاء الكامل للمخيم .

انه بنفسه قتل ٤٠ شخصا بالامس انتقاما لصديق له لقي مصرعه قبل ذلك في القتال .

يتضح اليوم من المنظر القائم في تل الزعتر ان كل الذين بقيوا في المخيم نفسه قتلوا دون تمييز . وكل الجثث التي رأيتها داخل المخيم نفسه كانت لنساء واطفال ورجال مسنين . ولكن ، وفي بقعة الى جانب المخيم ، ارتفعت كومة من عشرين الى ثلاثين جسدا لرجال من كل الاعمار ، قتلوا ، كما بدا واضحا في المكان نفسه .

من المستحيل ، ولو على وجه التقريب ، تقدير عدد الذين قتلوا في مجزرة الامس في تل الزعتر . دوري شمعون ، احد قادة حزب الوطنيين الاحرار اخبر الصحفيين اليوم ان هناك ، حسب تقديره ، ما بين ١٤٠٠ و٢٢٠٠ جثة داخل المخيم ، واستنادا الى المناطق التي رأيتها ، بدا لي ان هذه الارقام ممكنة جدا .

الكثيرون من سكان المخيم التجأوا الى ملاجىء واقبية البنايات المرتفعة في منطقة رأس الدكوانة القريبة . سألت احد مقاتلي الاحرار عما حل بهم، لقد جرى تصنيفهم فسلمت العائلات اللبنانية الى الكتائب للحفاظ عليهم . النساء والاطفال الفلسطينيون اعطوا للصليب الاحمر . اما الرجال الفلسطينيون فقد جرى قتلهم جميعا .

انتهت كل مقاومة للمخيم . المقاتلون اليمينيون واخرون من المناطق المسيحية الذين اعطوا الاذن

لو كان الاتفاق قد طبق كما خطط له ، مع مراقبة الصليب الاحمر وقوات الامن العربية للانسحاب المنظم لسكان المخيم الى الاحياء الغربية من بيروت لكان من الممكن تفادي حمام الدم الذي وقع بالامس .

ولكن الهدف من الاتفاق ، كما يبدو ، كان تهدئة مشاعر سكان المخيم من خلال شعور مزيف بالامان، مما سمح للمذبحة اليمينية ان تفاجئهم فجر الامس دون ان يكونوا مستعدين لها . وتقول مصادر فلسطينية ان المخيم اخبر بالاتفاق بواسطة القيادة الفلسطينية وهذا دعا السكان الى الخروج من ملاجئهم عندما كان اليمينيون يدعونهم بمكبرات الصوت الى ان يسلموا انفسهم . ثم بدأت المجزرة .

ج٠م٠

تل الزعتر/الجمعة ١٣ آب ١٩٧٦

التقرير الثاني

رأيت رجال تل الزعتر ، ميتين وقد رموا في الشمس . في ازقة المخيم ، وفي ساحاته الصغيرة ، امام الجامع ، وعلى عتبات البيوت ، في صفوف على سفح اكوام من التراب في كل مكان . انهم اولئك الذين كانوا بالامس مفقودين عندما دق جماع العائلات التي وصلت الى بيروت .. اولئك الذين كان الاطفال والنساء يبكون من اجلهم .

بعد الحصول على اذن بزيارة المخيم يوم الجمعة، اعطونا مرافقا اسمه الحركي «موشيه دايان» لانه أعور . الاسم يعجبه . اخر اسمه رومل . « موشيه دايان » يسلمنا لاثنين اخرين من الميليشيا ...

نعود لنأخذ الطريق الى داخل المخيم ... في بداية الطريق جثة لرجل لا استطيع ان اركز نظري عليه، لكن شيئا ما يبدو ناقصا ... يتوسط الطريق بشكل يجعل السيارة المارة تطحنه.. لا احد يهتم :

عندما دخلنا المخيم ادركنا السبب .

ندخل المخيم بين الحطام واسقف الاكواخ المنهارة ، الازقة ملآى باغراض منزلية ... اشكال غريبة في المخيم ، انهم اعضاء الميليشيا ... يضعون اقنعة طبية للوقاية من الرائحة .. يتنقلون بين المنازل ويحملون اشياء كثيرة : صندوقا من الصابون ومنشفة واكواب ومصابيح .. يضعون الاغراض التي يحملون بعناية امام باب كل منزل، ثم يدخلون ليفتشوا عن اشياء جديدة ...

في تل الزعتر اليوم سلب ، انظر الى الارض حيث جثة امرأة اغلقت عينيها وتورمتا . في مدرسة . وفي داخلها ميليشيا : يحيون بعضهم بعضا : يعطيك العافية ... الله معك . على بعد أمتار منهم في الساحة رجل وطفل . ميتان . انظر الى زميلي . أردت ان أتاكد اذا كان قد رآهما ايضا . الجثث هناك ، تحت الشمس ، وقد بدأت تهترىء ، ولكن الجميع من حولها يتحرك بشكل طبيعي ، يحيون بعضهم ، ويباركون بعضهم بعضا ويدردشون .. تولد عندي انطباع باني الوحيد الذي رآهما . لكن زميلي رآهما كذلك .

نصعد في طريق صغير نحو الجامع حيث كان يقوم في داخله مستشفى صغير . نصعد الى الطابق الاول ونرى المخيم .. اسقف الاترنيت محطمة ... كمية من الركام ، رائحة الموت ، ملموسة : الحرارة والشمس دون رحمة .

نخرج من الجامع الى الطريق الصغير . مستحيل. جثث اخرى على عتبات المنازل . لا استطيع عدهم. كثيرون جدا . الرجال بالاقنعة الطبية يمرون فوقهم ويخرجون من المنازل واذرعهم مثقلة بالاشياء .

نعود الى السيارة ونأخذ طريقا اوسع على الجانبين جثث لرجال في الشمس . على الجانب الايمن خندق . قال لي الفاشي الذي يجلس الى جانبي : انظر هناك : رجال كثيرون في الخندق وأرجلهم نحو الطريق .. « انها جثث من الامس » .. هذا ما قاله الفاشي .

نتابع في خط متعرج بين الجثث.. سألنا الفاشي الذي كان وراء المقود. اذا ما كنا نرغب بالمرور بالسيارة فوق الجثث .. نجحنا بشق النفس في ان نقول لا .. نرجوك ..

الى جانبي ، يتابع الفاشي كلامه قائلا : .... الحرب شيء صعب ولكنها انتهت الان .. انظروا حولكم ايها السادة : في تل الزعتر لم يبق فلسطيني حي ... وباستطاعة الصحافة ان تتحقق من ذلك.

يخبرنا كيف فعلوا ذلك : جعلوا الناس يخرجون من البيوت والملاجىء .. ثم اخذوا اللبنانيين جانبا .. ثم وضعوا الفلسطينيين من النساء والاطفال على جانب ، والرجال على جانب اخر ، حيث ذبحوا .. هذا صحيح .

مشيت في ما لا يزيد عن الف متر مربع داخل المخيم . لم اعد الجثث .. كانوا كثيرين جدا .. بالعشرات .. المخيم واسع : ٢٥٩ الف متر مربع .. وبامكان العالم المتمدن ان يحسب بنفسه ...

ر٠ب٠

تل الزعتر/الجمعة ١٣ آب ١٩٧٦